الطفل والغول

عبد العزيز الشناوى

رســوم
عبد الرحمن بكر

مكتبة جزيرة الورد
تقاطع شارع الهادى وعبد السلام عارف
ت/ ٣٥٧٨٨٢

مكتبة جزيرة الورد
المنصورة - تقاطع شارع عبد السلام عارف وشارع الهادى
ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

اسمى خليل منصور، حصلت على الشهادة الإعدادية العام الماضى، مات أبى بعد أسبوع من أعلان النتيجة، وماتت معه أمنيتى الصغيرة، كنت أتمنى أن ألتحق بمدرسة الصناعة الثانوية لأحصل على دبلوم كهرباء، أنا أكبر أخوتى سمير، حنان، خالد، صحبتنى أمى إلى مطبعة الحاج زيدان بشير ، أحصل على أجر يومى جنيهين، أضعهما في كف أمى في نهاية كل يوم، أعمل مع حسن عبد الفتاح، وجلال محمد ، وعبد الخالق نصحى، كانوا زملائى في المدرسة الحاج زيدان رجل طيب القلب، لكنه يعطى أذنه دائماً لعم الشرنوبى، عم الشرنوبى لا يكف لسانه عن قذف الشتائم والسباب، ويده تلهب ظهورنا بالعصا، لولا الجنيهين اللذين أضعهما في كف أمى مع آذان المغرب لما ذهبت إلى المطبعة على الرغم من حبى لها فكل ورقة تقع في يدى أقرأها، عم الشرنوبى كلما رآنى أقرأ ورقة يقول:

ـ لم لم تواصل تعليمك مادمت تحب القراءة هكذا وأرحتنا من وجهك العكر؟

أحيانا أرد عليه:

ـ يا عم شرنوبى ظروف والناس أعذار.

جلال محمد يقول:

ـ عم شرنوبى اسم من مقطعين شر وله نصيب من إسمه نوبى فيبدو أنه صعيدى.

أمس شتم عم شرنوبى حسن عبد الفتاح وسب أمه، لم تكف عينا حسن عن الدمع ، كادت المطبعة أن تخطف ذراعه.

قال عبد الخالق نصحى:

ـ لابد أن نذهب جميعاً ونشتكى للحاج زيدان بشير.

قال حسن عبد الفتاح:

ـ أخشى أن يطردنا فيحرم كل منا من الجنيهين اللذين...

وقال عبد الخالق نصحى:

ـ يذهب أحدنا إلى ورشة نجارة والآخر إلى ورشة سمكرة سيارات و..

قلت:

ـ في السماء رزقكم وما توعدون، الرزاق موجود، الذى يرزق النملة لن ينسانا.

قال حسن عبد الفتاح:

ـ أخشى أن أكون سبباً في تفرقنا و.. ومن يجرؤ على الحديث مع الحاج زيدان؟

قلت:

ـ أنا.

قال عبد الخالق نصحى:

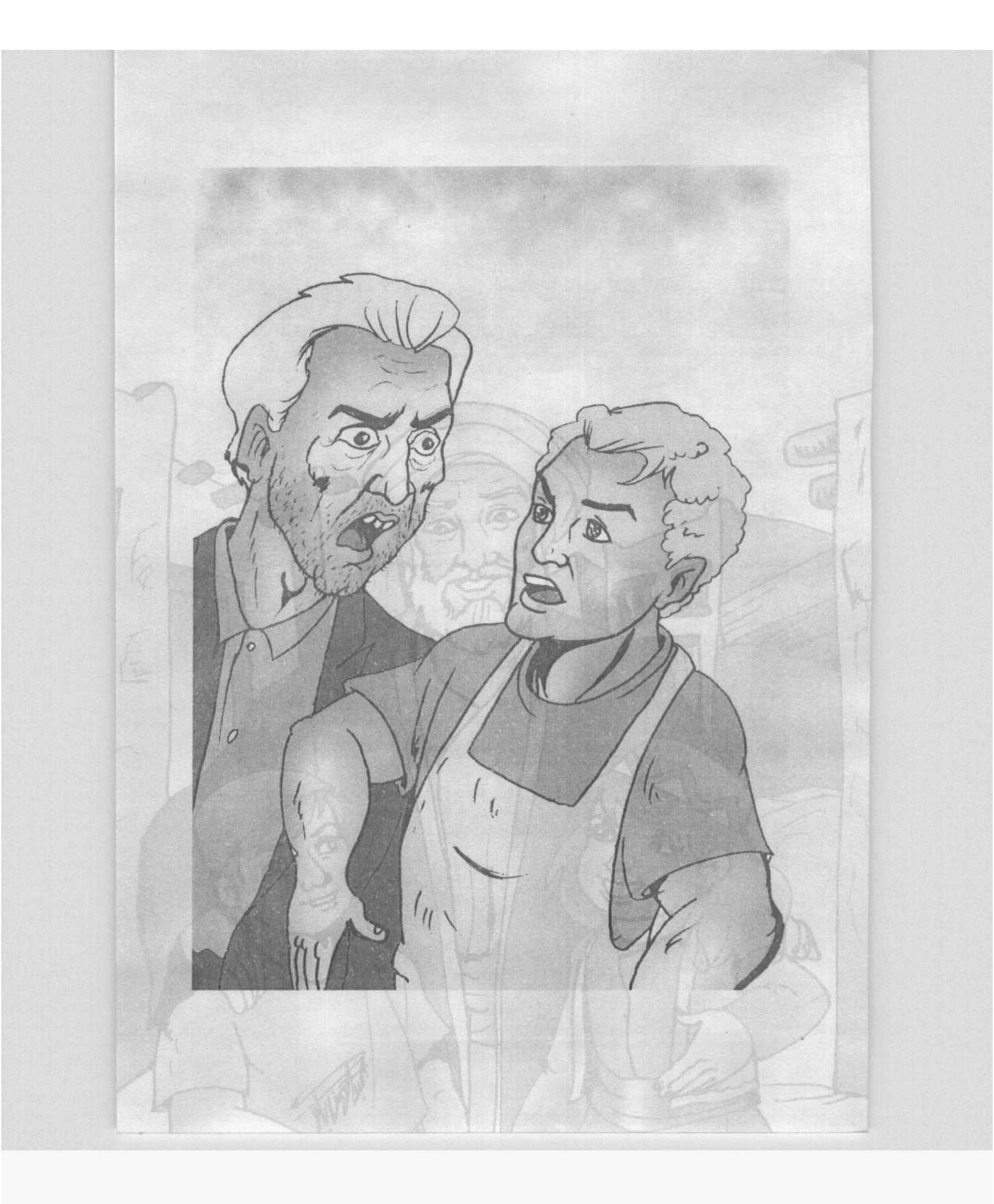
ـ ولم لا يحدثه حسن عبد الفتاح؟

فهز حسن عبد الفتاح رأسه وقال:

ـ أنا..؟!! لا أستطيع.

فقلت:

ـ لماذا؟ لقد كلم الهدهد سليمان عليه السلام، فليس الهدهد خيرا منك، ولا الحاج زيدان كمثل نبى الله سليمان بن دواد عليهما السلام.



قال حسن عبد الفتاح:

- ولكن ..

قالت مقاطعاً:

- ولكن ماذا..؟! لقد كلم طفل من الخوارج طاغية ثقيف الحجاج بن يوسف الثقفى أمير العراق وما أدراكم بالحجاج بن يوسف الثقفى.

قال عبد الخالق نصحى:

- ماذا قال هذا الطفل الشجاع لطاغية ثقيف؟

قلت:

- ذات يوم كان الحجاج بن يوسف جالسا في قصره ومعه سادات وأشراف أهل العراق فأدخل عليه طفل في الحادية عشرة من عمره، فلما وقف أمام الأمير الظالم لم يعبأ بالحجاج ولم يكترث به وإنما راح ينظر إلى الحجرة الكبيرة التى أعدها الحجاج بن يوسف لاستقبال الملأ من أهل العراق ثم قرأ: "أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ" سورة الشعراء الآية: ١٢٨ - ١٢٩ أى تبنون بكل مكان مرتفع آية علما تلعبون بها لتشرفوا وترتفعوا على المارة فتسخرون منهم، وتتخذون منازل وحصوناً فهل تخلدون؟

قال جلال محمد:

- هل عرف في زمن الحجاج بن يوسف المصانع؟

قلت:

ـ ليس المقصود بالمصانع مصانع السيارات والآلات، ولكن يقصد مصانع ومفردها مصنعة ومصنع وهى كالحوض يجمع فيها ماء المطر، والمصانع قد تطلق على الحصون.

قال عبد الخالق نصحى:

ـ ماذا قال الحجاج بن يوسف لما سمع هذا الطفل الشجاع قرأ الآيتين الكريمتين؟

قلت:

• كان الحجاج بن يوسف الثقفى متكئا فاستوى في مقعده وتساءل:

ـ يا غلام إنى أرى لك عقلاً وذهناً أحفظت القرآن؟

قال الطفل:

ـ أوخفت على القرآن من الضياع ؟

فسكت الحجاج وكأن سؤال الطفل قد ألجمه، وعاد الطفل يقول:

ـ لقد حفظ الله عز وجل كتابه "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

سورة الحجر الآية: ٩.

قال الحجاج بن يوسف:

ـ أفجمعت القرآن؟

فتساءل الطفل:

ـ أو كان القرآن مفرقاً حتى أجمعه؟

فقال طاغية ثقيف من بين أسنانه:

- أفأحكمت القرآن؟

فعاد الطفل معجزة عصره يتساءل:

- أليس العزيز الحكيم أنزله محكماً؟

قال الحجاج بن يوسف:

- أفاستظهرت القرآن؟

قال جلال محمد:

- ما معنى استظهرت القرآن؟

قلت:

- حفظت القرآن عن ظهر قلب.

قال عبد الخالق نصحى:

- ماذا قال الطفل الشجاع للحجاج بن يوسف:

قلت:

- أجاب الطفل معجزة عصره معاذ الله أن أجعل القرآن وراء ظهرى.

فغضب الحجاج بن يوسف الثقفى، إن الطفل يحاوره ويناوره ويجادله.

فصرخ في وجهه:

- ويلك... قاتلك الله ماذا أقول؟

قال الغلام:

- قل: أوعيت القرآن فى صدرك؟

تساءل حسن عبد الفتاح:

- ما معنى الويل؟

قلت:

- ويـل كلمة مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب، والويل: واد في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت وانصهرت وذابت من حره.

قال جلال محمد:

- ماذا فعل الحجاج بن يوسف عندما قال له الطفل: ويلك؟

قلت:

- كظم الحجاج بن يوسف غيظه وقال من بين أسنانه: إقرأ شيئاً من القرآن فاستفتح الطفل معجزة عصره:

أعـوذ بـالله مـن الشيطان الرجـيم بسـم الله الـرحمن الرحيم " إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ " سورة النصر آية: ١، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يخرجون من دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً

فصاح الحجاج بن يوسف:

- ويحك إنهم يدخلون.

فرد الغلام:

- يخرجون.

قال الحجاج بن يوسف:

- يدخلون.

قال الطفل الشجاع:

- يخرجون.

فتساءل الحجاج بن يوسف:

- لماذا تصر على أنهم يخرجون؟

قال الغلام:

- كانوا يدخلون في دين الله أفواجا، أما اليوم صاروا يخرجون.

فقال الحجاج بن يوسف:

- ولم يخرجون اليوم؟

قال الطفل معجزة عصره:

- لسوء فعلك بهم.

فغضب الحجاج بن يوسف وقال:

- ويلك يا غلام .. وهل تعرف من تخاطب؟

قال الغلام في هدوء عجيب:

- نعم أخاطب شيطان ثقيف.. الحجاج بن يوسف.

فصرخ الحاج في وجه الطفل معجزة عصره:

- ويلك .. من رباك؟

قال الغلام:

- الذى زرعنى.

قال الحجاج بن يوسف الثقفى:

ـ فمن أمك؟

قال الغلام:

ـ التى ولدتنى.

فتساءل الحجاج بن يوسف:

ـ فأين ولدت؟

قال الطفل معجزة عصره:

ـ في بعض الفلوات

تساءل جلال محمد:

ـ ما معنى كلمة الفلوات؟

قلت:

ـ جمع فلاة وهى الصحراء.

قال حسن عبد الفتاح:

ـ لقد أثرت أشواقنا لمعرفة ماذا فعل الحجاج بن يوسف مع هذا الطفل المعجزة؟

قلت:

ـ عاد الحجاج يتساءل:

فأين نشأت؟

قال الغلام:

- في بعض البرارى

قال الحجاج بن يوسف:

- أمجنون أنت فأعالجك؟

قال الطفل معجزة عصره:

- لـو كنـت مجنوناً لما وصلت إليك، ووقفت بين يديك كأننى ممن يرجو فضلك أو يخاف عقابك.

فقال الحجاج بن يوسف:

- فما تقول في أمير المؤمنين؟

قال الطفل معجزة عصره:

- رحم الله أبا الحسن رضى الله عنه وأسكنه جنات خلده.

قال الحجاج بن يوسف:

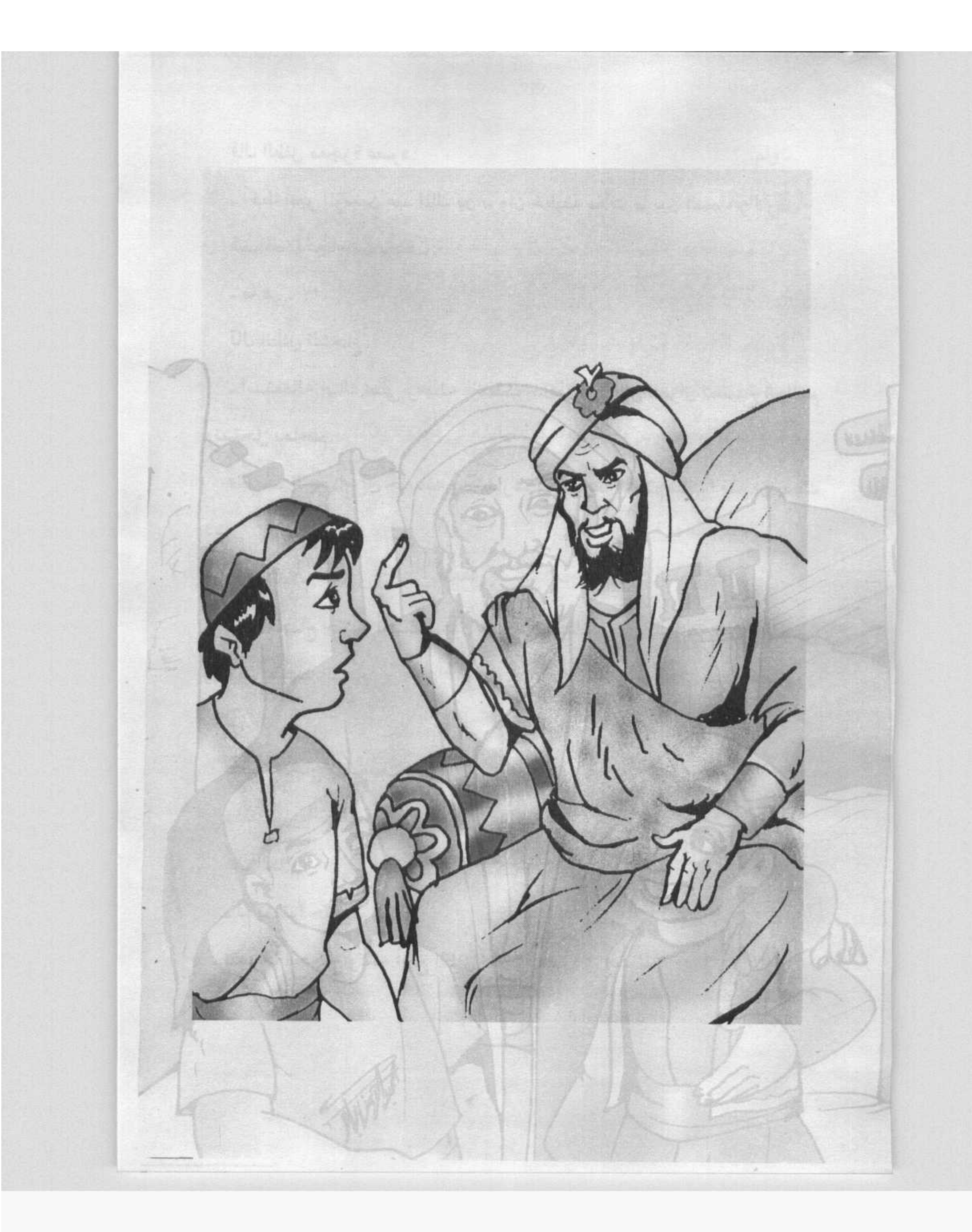
- ليس هذا - على بن أبى طالب - عنيت - قصدت -، إنما أعنى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان.

قال الغلام:

- على الفاسق الفاجر لعنة الله.

فقال الحجاج بن يوسف :

- ويحك.. بم استحق اللعنة أمير المؤمنين؟



قال الطفل معجزة عصره:

- أخطأ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خطيئة ملأت ما بين السماء والأرض

فتساءل الحجاج بن يوسف:

- ما هي..؟!

قال الطفل الشجاع:

- استعماله إياك على رعيته فجعلك حاكما على أهل العراق تستبيح أموالهم وتستحل دماءهم.

فالتفت الحجاج إلى جلسائه واستشارهم في أمر هذا الغلام فطلبوا منه أن يسفك دمه.

فقال الغلام:

- يا حجاج جلساء أخيك فرعون خير من جلسائك حين قالوا لفرعون عن موسى وهارون عليهما السلام "أَرْجِهْ وَأَخَاهُ" سورة الأعراف الآية : ١١١، وهؤلاء يأمرون بقتلي.

فقال الحجاج بن يوسف:

- لقد أشاروا نصفا - أنصف الرجل: عدل -

قال الغلام:

- لم ينطقوا حقا ولم يعدلوا.

فتساءل الحجاج وكأنه أوقع الطفل معجزة عصره في الشرك:

ـ ولم..؟!!

قال الغلام:

ـ لأنهم أقاموا عليك الحجة بين يدى الله ملك الجبارين ومذل المستكبرين يوم تتقلب القلوب والأبصار.

فارتعد الحجاج بن يوسف وقال:

ـ هذب ألفاظك وقصر لسانك فإنى أخاف عليك بادرة الأمر.

ثم سكت الحجاج بن يوسف وعبثت أنامله فى لحيته وقال:

ـ قد أمرت لك بأربعة آلاف درهم.

قال الطفل معجزة عصره:

ـ لا حاجة لى بها بيض الله وجهك وأعلى كعبك.

نظر الحجاج بن يوسف إلى جلسائه فقالوا:

ـ لقد هذب الغلام ألفاظه وقصر لسانه ودعا الله لك.

فهز الحجاج بن يوسف الثقفى رأسه وقال:

ـ هل تظنون أنه دعا لى؟ لا إنه أراد بقوله: بيض الله وجهى: العمى والبرص، وبقوله: أعلى الله كعبك: التعليق والصلب ـ الشنق ـ

ثم التفت الحجاج نحو الطفل معجزة عصره وسأله:

ـ ما تقول فيما قلت؟

قال الغلام:

- قاتلك الله.. لقد فهمت ما أردت قوله.

هتف حسن عبد الفتاح:

- والله لن أكون أقل شأنا من الطفل معجزة عصره وسأذهب إلى الحاج زيدان.

فقال جلال محمد، وعبد الخالق:

- ونحن معك.

فقلت:

- وأنا معكم .

